مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
425-398 العدد السادس: ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

صورة الرجل في قصيدة المرأة السعودية

The image of the man in the poem of the Saudi woman

أ.د. محمد عبد الرحمن عطا الله

Prof. Mohamed Abdel Rahman Atallah

أستاذ الأدب والنقد– جامعة باش العالمية المفتوحة بأمريكا– الفرع الإلكتروني بالسعودية

Professor of Literature and Criticism - Bash International Open University in America - Electronic Branch in Saudi Arabia

البريد الالكتروني mohamed__ata1960@yahoo.com

الجوال /00966508256782

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
425-398 العدد السادس: ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الملخص

اختلف خطاب الشاعرة السعودية عن خطاب الروائية السعودية التي رأت أن الرجل يكبلها بسلطته وتسلطه، فعملت في سردها على إقصائه، إما بالقتل، أو العجز.

والرجل السلبي لدى الروائية، تحول إلى رجل إيجابي في قصيدة المرأة السعودية فذابت فيه عشقًا عبر لغة رومانسية حالمة، فقد رصد البحث خمس صور للرجل في الخطاب الشعري للأنثى السعودية، هي: الحبيب والصديق – الوطن – الفارس والمضحي – كسر النسق – الحلم.

Summary

The Saudi poet's speech differed from that of the Saudi novelist, who saw the man as shaking her up with his authority and domination. In her account, she worked to remove him, either by murder or incapacity.

The negative man of the novelist, turned a positive man in the poem Saudi Women, in which she thwarted through a dreamy romantic language, and the research lost five images of a man in the poetic speech of the Saudi female: Habib and Friend – Home – Knight and Sacrifice – Breaking the Pattern – Dream.

المقدمة

إن الرجل – بما يمثله من سلطة في المجتمعات العربية – أضحى من أهم القضايا التي شغلت الخطاب الأدبي لدى المرأة في المجتمعات العربية بعامة، والمجتمع السعودي بصفة خاصة؛ بما للرجل من سلطة فرضتها طبيعة المجتمع؛ فإن كانت " سلطة الرجل الفرد نسبية تنقص وتزيد من شخص إلى آخر ؛ فإن السلطة في حالة الرجل المؤسسة نقيض ذلك؛ فهي سلطة محددة؛ معيارية؛ تسن قوانينها بمهنية عالية تأخذ مسوغاتها من الدين تارة، ومن عرف المجتمع تارة أخرى؛ إنها سلطة تحكُّم؛ ليس المرأة، بل تُطال الرجل الفرد الذي يذعن أحيانًا رغم عدم قناعته الشخصية. وفي الغالب فإن هذا النوع من الرجل الفرد متسامح مع المرأة، ونصير لها فيما يتعلق بسلطته غير أنه لا

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
ISSN: 2958-8537 Issue: N6 العدد السادس: ص.ص 398-425
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يستطيع إلا أن يكون أداة للمجتمع في إدارة شؤون المرأة بالوكالة أو النيابة أو الولاية في مواضع قد لا تحتاج إلا إلى قدر من الفهم المشترك في كيفية فهم احتياجات المرأة " (i)

ومن هنا لابد أن ترى هذه القضية طريقها إلى إبداع المرأة؛ فكم " من امرأة عززت الخطاب الذكوري؛ إما بأشعارها، أو كتاباتها، أو بما ينساق بين يديها من قول أو فعل؛ كما أن للرجال دورًا أو أدوارًا في تأنيث الخطاب اللغوي ٱلإبداعي" (ii).

ويرى عبد الله الغذامي أن المرأة لم تبدع قديمًا لأنها اتخذت المساواة طريقًا لها، وكانت تطمح إلى محاكاة الفحول، وأدخلت نفسها في مشروع التفحيل، ولذا لا يتحقق الإبداع والتميز إلا بواسطة الاختلاف (iii).

فقد جرى ثقافيًا " اختراع الفحل الذي ابتدأ فحلاً شعريًّا؛ غير أنه تحول فحلاً ثقافيًّا يتكرر في كافة الخطابات والسلوكيات الاجتماعية والثقافية والسياسية "(iv).

وهذه السلطة الذكورية، ومشروع التفحيل كان له ردة فعل في الخطاب السردي النسائي في المملكة العربية السعودية، " ولعل أطرف ثيمة أو موضوعة علقت في الخطاب الروائي النسائي هو عدم احتمال فكرة وجود الرجل مع وإلى جانب المرأة؛ فالمرأة تجد وجود الرجل مقيدًا لحضورها، بل خطرًا يجب الخلاص منه، فاستدعت الرجل إلى عالمها السردي، وأخضعته لقوانينها، وما لم يعجبها ابتكرت حيلاً سردية، وأقصته من عالمها؛ لقد كان وجود الرجل الخيالي منطقه ثرية لإقصائه بالقتل أو العجز، أو سوى ذلك حتى تبلغ المرأة غايتها من التفوق وتحقيق ذاتها؛ لقد كشف خطاب الرواية النسائية أنه لا وجود للمرأة إلا في غياب الرجل، وهذا التصور خطاب تختزله الرواية النسائية في سعيها لتحقيق مكاسب اجتماعية حُرمت منها المرأة في مواجهة الرجل في أرض الواقع ".(v)

وكما استدعت المرأة الرجل إلى عالمها السردي؛ فقد استدعته إلى عالمها الشعري، فهل نظرة الشاعرة السعودية للرجل هي نظرة الروائية نفسها ؟ يرى عالي القرشي أن النظرة واحدة على حد قوله: " من يتأمل النص الشعري للمرأة في مشهدنا المحلي يجد حالة من التوتر مع السلطة الذكورية؛ التي تجد دعمًا لها في التبني الاجتماعي لما تلوح به من قيم وما تفرضه؛ نتيجة للإرث التاريخي الطويل، ونتيجة لدعم تلك المقولات بتفسيرات للنص الديني وفق المعطيات التي راقت أصحاب التسلط " (vi).

وهذه العلاقة في النص الشعري لم تكن في توتر دائم؛ ففي بعض الأحيان يعتريها بعض الوفاق عن طريق اتخاذ بعض الحيل الفنية كما سيتبين فيما بعد.

ومهما يكن من أمر من الخطاب الشعري المعاصر للمرأة اختلف عن خطابها القديم ، فمن " اللافت للنظر أن الخطاب الشعري لم يسمح للمرأة – وكانت في معظم الأحيان تتذبذب بين طرفيْ المعادلة الاجتماعية – إما أميرة أو

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

قينة مغنية ، لم يسمح لها عن حضور الرجل في وعيها إلا إذا كان ميتًا مرثيًّا من الدرجة الأولى بطبيعة الحال، وسواء كانت الذاكرة الانتقائية التي سجلت هذه الآثار، وأغفلت ما عداها ظالمة أو عادلة؛ فإن رواية الأشعار في المدونات كانت دائمًا منوطة بالرجال، ولم يكن هناك أمل في حفظ المرويات الشفوية التي تسقط في بئر العدم "[vii].

واختلف الأمر تمامًا في عصرنا الحديث؛ فقد كان للمرأة حضور في المجتمع والثقافة والحياة العامة، وقد بلغت المجتمعات في العصور الحديثة شأوًا من الحضارة والرقي، ومن هنا قدمت المرأة أدبًا يعبر عن واقعها ورؤيتها الخاصة للحياة والوجود.

ومن " يتابع نص المرأة الشعري في المملكة العربية السعودية يشعر بتلبس الذات الأنثوية لكتابتها، وكلمتها الشعرية؛ فتجد القلق والتمزق، والنشوة بالدخول في عالم البوح واستشراف الأفق، والبحث عن شكل جديد للكتابة، وارتداد العوائق إلى عالم من المواجهة والتجاوز داخل النص "[viii].

وبما أننا في هذه الدراسة نحاول استجلاء صورة الرجل في خطاب الأنثى الشعري؛ نطرح سؤالاً، ما النبرة المميزة لخطاب الأنثى الشاعرة في موقفها من الرجل ؟ " كثيرًا ما تأملنا نبرات الخطاب الشعري الذكوري، ورأينا كيف يتعامل مع المرأة باعتبارها شيئًا جسديّا حينًا، وطيفًا زائرًا حينًا آخر، وروحًا هائمًا في كثير من الأحيان، وكيف يحاول في بعض تجلياته أن يستعير ضميرها، ويتحدث بلسانها، فلا يرى سوى نفسه، ولا يرسم للمرأة إلا الصورة التي يود أن تكون عليها، ها نحن أمام فرصة مواتية كي نتأمل الوجه الآخر للصورة، مع ما يتطلبه ذلك من الحذر في مواجهة المراوغة الشعرية وهي تضع أعرافها الجديدة ". [ix]

أهداف البحث: يهدف البحث إلى استجلاء صورة الرجل لدى الشاعرة السعودية، واختلاف خطاب المرأة الشعري عن خطابها الروائي.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في تقديم الشاعرة السعودية خطابًا متمردًا على الرجل المؤسسة لصالح الرجل الفرد، فجاء الخطاب معلنًا عن علاقة حميمة بين الذات الشاعرة، والآخر/ الرجل.

منهجية البحث: تعتمد الدراسة على الاستقراء والاستنباط، ثم تحليل الظواهر الشعرية من خلال خطاب الأنثى الشعري.

إشكالية البحث: ما طبيعة الخطاب الشعري لدى المرأة السعودية؟ كيف صورت الشاعرة السعودية الرجل الإيجابي في نصها الشعري؟ ما صورة الرجل في قصيدة المرأة السعودية؟

ومهما يكن من أمر؛ فقد أضحت علاقة المرأة بالرجل قضية جوهرية لدى الذات الشاعرة، ومن ثم فقد تعددت صور الرجل في خطاب الأنثى الشعري، وقد تجلت خمس صور للرجل في قصيدة المرأة الشعرية هي: الحبيب والصديق – الوطن – الفارس والمضحي – كسر النسق – الحلم، ويمكن دراستها على النحو الآتي :-

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أولا :الرجل/ الحبيب والصديق

عرفنا فيما سبق أن موضوع الرجل جاء في الرواية النسائية السعودية سلبيًّا في معظم السرود، وهي سلبية مسبقة منعكسة من واقع فظٍّ في التعامل مع المرأة، من هنا جاءت اندفاعة الروائيات نحو توظيف موضوع الرجل السلبي بوصفه ردة فعل غير فنية تخضع لشروط الواقع لا لشروط الفن في أحيان كثيرة ([x]).

وإن كانت الساردة السعودية تستدعي الرجل إلى عالم السرد، وتبتكر حيلاً لإقصائه، إما بالقتل أو العجز أو سوي ذلك؛ فإن الشاعرة السعودية في بعض الأحيان تستدعي الرجل إلى عالمها الشعري وتذوب فيه عشقًا، ويتسم خطابها بالرومانسية المفرطة، ويتحول موضوع الرجل السلبي في الخطاب الروائي إلى موضوع الرجل الإيجابي في الخطاب الشعري.

وموضوع الرجل السلبي في الخطاب الروائي استجابة لظرف الواقع، أما موضوع الرجل الإيجابي؛ فيخضع لشرط الفن، فهو تمرد على الواقع، واستجابة لعالم الفن؛ إن هذا الخطاب متمرد على الرجل المؤسسة لصالح الرجل الفرد، بل هو تحدٍ لسلطة المجتمع التي تقف حجر عثرة أمام تلك العلاقة؛ فجاء الخطاب متسمًا بكثير من التحدي معلنًا عن علاقة حميمة بين الأنا الشاعرة والآخر / الرجل.

وتتجلي هذه العلاقة بين الأنثى وحبيبها عند اعتدال الذكر الله، وعنوان ديوانها " واستمطرك عشقا " يشي بهذه العلاقة، وتكثر القصائد الدالة على ذلك في الديوان؛ لكن الدراسة تفرض علينا انتقاء بعض النماذج .

ولعنا نرى اعتدال الذكر الله تذوب عشقًا وتتوحد في الحبيب في قصيدة " احتراق في بوتقة الحب "، مخاطبة الحبيب:

يا حبيبِي
لا تسلْني
كلُّ ما فيَّ يقولْ
إنَّني أهواكَ
يا سرَّ العقولْ ([xi])

وهكذا تكثر القصائد في الديوان التي نرى فيها الشاعرة تذوب في المحبوب، وتفنى فيه، وفي بعض الأحيان تستدعي الشاعرة نصوص الوجد والغرام إلى عالم النص عن طريق التعالق النصي، فنراها تتناص مع بيت أحمد شوقي في نهج البردة :

يا لائمِي في هواهُ والهوَى قدرٌ لو شفَّكَ الوجدُ لمْ تعزلْ ولمْ تَلُمِ ([xii])

فتقول في قصيدة " غياب " :

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يا لائمِي في هواهُ قلبُ عاشقةٍ قدْ شفَّهُ الوجدُ عادَ القلبُ ولهانا [xiii]

وتتناص مع شاعر الرومانسية الكبير إبراهيم ناجي في بيت قصيدة " الأطلال " :

اسقنِي واشربْ على أطْلالهِ وارو عنِّي طالمَا الدَّمعُ روَى [xiv]

فنرى الشاعرة تختم قصيدة " كن جواري " بقولها :

واسْقنِي ثُمَّ ارو عنِّي وأقلْ عنِّي عثاري [xv]

وتكثر القصائد التي تتوحد فيها الذات الشاعرة في ذات المحبوب، وتعزف الشاعرة فيها معزوفة رومانسية تختلط باللغة الصوفية في عالم الوجد والهيام، ويتجلى ذلك في قصائد: هذيان – عودة الحبيب – خربشات العشق – في مهب الذكريات – توبة – ذكرتني – عناق الذكريات – ضجيج – يوم بكل الزمان [xvi].

وتُدخل منى الغامدي الحبيبَ في قصيدة "ليل " من ديوان " عطش " قائلة:

وآلهةُ الحبِّ حالمةٌ قدْ أصاختْ دماهَا
لليلتِنَا .. تمنحُ المغفرةْ
وأنتَ تقولُ وقدْ فاضَ كأسي
بكلِّ ضروبِ الهوى المُسْكرَةْ
لو أنَّ ليلِي تطاولَ حتَّى الصباحْ
لطارتْ بنا غيمةٌ ورياحْ
هناكَ إلى حيثُ يبتسمُ العاشقونْ [xvii]

والشاعرة هنا تعزف على وتر اللغة الرومانسية الحالمة، وعالم العشق والغرام حطَّم منطق الأشياء؛ فتحول الليل رمز الوحشة والخوف في تراثنا الأدبي ليلاً آخر ولم يعد ليل الشاعرة ليل امرئ القيس، ولا ليل النابغة، بل أضحى الليل محببًا لدي الذات الشاعرة؛ فتتمنى أن يطول ليلها لأنها متلبسة بحالة خاصة؛ فالصباح المحبب لدى الجميع يبدد لحظات اللقاء بين الحبيبين، ومن هنا جاء العنوان متسربًا في ظاهر النص وعالمه، وقد ألحت الشاعرة على تكرار مفردة الليل خمس مرات في القصيدة؛ فتحول الليل عنصرًا محببًا لدي المحبوبة والحبيب معًا.

وتستدعي الأنا الشاعرة نصفها المفقود / الرجل في قصيدة " النصف المفقود " لسارة الصافي في ديوانها " صلصال وماء "؛ حيث تقول:

نادِني بكلِّ اللغاتْ
وبكلِّ صوتٍ

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

آتْ
منْ أغوارِ الماضي منْ عهدِ اللاتْ
والعُزى ومناتْ
من أولِ تفاحةٍ قُطعتْ
من أولِ سطرٍ
حتَّى آخرِ عهدٍ
تتحررُ فيهِ الذاتْ
إنّي صدًى من ذكرياتْ
ندًى من ندى القطراتْ
تذوبُ في صمتِي الكلماتْ
وتحترقُ البسماتْ
في كلِّ فجرٍ
لي همسٌ معَ النسماتْ
وفي كلِّ زمنٍ
لي عطرٌ ينتشي بالنفحاتْ
لسْتُ النصفَ المفقودْ
لسْتُ النقشَ المنحوتْ ([xviii])

عنوان الديوان " صلصال وماء " إشارة واضحة إلى الرجل وقصة خلق آدم من تراب، وقصة خلق المرأة / حواء من ضلع آدم / الرجل، وتشير القصيدة إلى التفاحة وقصة الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض، ولم تصبح حواء نصفًا مفقودًا، بل هي نصف موجود، ومن هنا ترفض الشاعرة أن تكون نصفًا مفقودًا، ولا نقشًا منحوتًا، ولذا تتمرد الأنثى على السلطة الذكورية التي تحوّل المرأة إلى نصف مفقود، وتحُول دون توحدها في نصفها الآخر؛ فنسمعها تخاطب نصفها الآخر في حالة من الفناء والوجد في ذات الآخر:

إنّي في لونِكَ في صوتكْ ([xix])

ويبقى الرجل أثيرًا محبوبًا لدي الشاعرة في قصائد: في جرحي سؤال – مسك الختام – سئمت الانتظار ([xx]).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ويبلغ التوحد بين المحبيْن أقصى مدى عند خديجة السيد التي أتقنت فنون الحب والألم؛ فصار المحبوب محتلًّا يحتل خارطة الجسد، ويسكن مساماته، وقد تمنت المحبوبة التحرر لتنعم بحب الطليق، لا بهمس السجين.

تقول الشاعرة في قصيدة " احتلال " من ديوان " نبض العناقيد ":

أنا العاشقة .. المسجونةُ داخلَ جسدِكَ متى

تطلقُ سراحِي ؟ ...

لأنعمَ بحبّكَ دونَ أن أهمسَ إليكْ ..... ([xxi])

وتتكرر صور توحد الذوات، والفناء في الآخر، وتتجلى اللغة الرومانسية الحالمة لدى الشاعرة في قصائد: هنا – ليلكية – بطولة قلب – كيف – غاية الكلمات ([xxii]).

وما زالت الرومانسية سيدة الموقف، وطافية على السطح؛ فقُرْب الحبيب سعادة وسرور، وبُعده وفراقه ألم وأنين عند وفاء خنكار في قصيدة " يراع " من ديوان " هندسة حب " على حد قولها في النص :

أكتبُ اسمَكَ بقلمِ الضوءِ

فتتناثرُ أحرفُكَ كيراعِ الغابةِ

وتضيعُ معها عناويني

وأبقى وحيدةً بعناويني ([xxiii])

وتظل اللغة الرومانسية تعزف ألحانها لدى الشاعرة في الديوان نفسه في قصيدتيْ: الأضداد – وأنت لغتي ([xxiv]).

وتبلغ الشاعرة ميادة زعزوع غاية كبرى من الرومانسية، والفناء في المعشوق في قصيدة " ليلة سرمدية في أحضان مدفأة " من ديوان " وأتوه في رجل شرقي "؛ تقول:

آهٍ، أنتَ حبيبِي، أشعرُ بكَ دائمَ الانصبابِ في نفسِي

حنانُكَ لا ينتهِي، وكأنَّني زجاجةٌ فارغةٌ لا تمتلئُ

وأنتَ بعيدٌ، تلازمُني رغبةٌ دائمةٌ للنزوعِ إليكْ

يُخيَّلُ إليَّ الآنَ أنَّني ملتصقةٌ بالكونِ كلِّه، ليسَ بكَ

وحدكَ ([xxv])

وعنوان الديوان " وأتوه في رجل شرقي " يعزز تلك القراءة التي تذوب عشقًا في هذا الرجل الشرقي سواء أكان هذا الرجل الحبيب أم الوطن؛ فهي تنزع إلى المحبوب غائبًا، وتفنى وتذوب فيه حاضرًا.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ومن ثم تدعوه إلى عالمها السحري عالم العشق والحب لتتوحد في ذاته، وتدخل خارطة قلبه، وتصير مِلكًا له في قصيدة: " هذيان سماء لا تنتهي ":

فميّادةُ لنْ تكونَ إلا لكْ
ولنْ يمسَّ شعرةً منهَا رجلٌ سواكْ
أسرعْ فقدْ أصبحْتُ [..أنا..] تائهةً عنِّي،
بعدما فقدْتُ الطريقَ إليها ([xxvi])

ولا تختلف البتول الدباغ عن قريناتها من الشواعر في التماهي والفناء في المحبوب في قصيدة " دع قلبك يراني " من ديوان زخات مطر " حين تقول:

لا أرَى نفسِي في عيونِ الآخرينَ
يكفيني أنْ أراهَا في عينيكَ
ألا يكفيك..([xxvii])

وتتجاوز الأنثى حدود القبيلة، وتحطم خيام العشيرة، وتعلو نبرة الأنا معلنة حبها بصوت جهوري، وتتحدى بحبها سلطة الذكورة، ووكالة العشيرة؛ فنرى فائزة سعيد في ديوانها " صانعة الورد "؛ تقول:

أحببْتُكَ
لذلكَ قررْتُ
ومَا أصعبَ أنْ يقررَ حبٌّ
أنْ أحطّمَ خيامَ العشيرةْ
وأخرجَ عنْ حدودِ القبيلةْ
وأعلنَ حبَّكَ للملأْ ([xxviii])

وإن كانت الشاعرة في النصوص السابقة تماهت في الحبيب تمردًا على الرجل السلطة لصالح الرجل الفرد؛ فإن لطيفة قاري أكثر تمردًا على الرجل السلطة؛ فتحول الرجل الحبيب عند الأخريات إلى صديق عندها؛ تقول:

أيّهما يا صديقِي أنَا
أيُّ وجهٍ إذا خنْتُهُ لمْ تخنْهْ
يروعُني خدرٌ في العبارةْ
كلُّ الكلامِ الذِي في يدِي

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
ISSN: 2958-8537 Issue: N6 العدد السادس: ص.ص 398-425
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لمْ أهادنْ غواياتهْ
لمْ أذقْ ملحَ أهدابهْ
لمْ أذقْه
وكلُّ الغمامِ الذي في يدِي لمْ أسقْهِ
وكلُّ الذي انشقَّ عنِّي غريبْ
فضاءٌ غريبٌ / ومرجٌ غريبٌ / ومعنى غريبْ
فأيُّ يا صديقِي أنَا
وأيُّ شيءٍ إذَا خنتْهُ لمْ تخنْه ([xxix])

أدى النظر الذكوري المطابق بين مقولة المرأة، وبين ما يحذرها منه، وينهاها عنه إلى أن يمثل ذلك في انشطار الذات؛ فهي تسائل الصديق الذي تلتئم إليه، وقد استنبت هذا الصديق الخطاب النسوي الذي يراهن على الوعي الثقافي، ونشوء صداقة تراهن عليه، ولهذا كان الاستدعاء تمثلاً للموقف من المقولات التسلطية، وجاء النص الشعري – فضلاً عن هذا التمثل الترميزي – طالبًا من التلقي الارتقاء إلى أفق الدلالة الشعرية، التي تتمرد على الارتهان للمطابقة بين فعل الذات ومنطوقها الشعري؛ فساغ للشاعرة حينئذ تنفي مقاربتها لمهادنة الغواية والتذوق الحسي للعوالم التي تحرك فيها الشعر([xxx]).

لعلنا نلاحظ أن كل النصوص السابقة قد تقاطعت في لغتها الرومانسية، وفناء العاشق في المعشوق، وموضوع الرجل في كل هذه النصوص كان رجلاً إيجابيًّا؛ استدعته الذات الشاعرة إلى عالمها؛ فأضحى حبيبها وصديقها متحدية به التسلط الذكوري المركوز في العقل الجمعي، ومتحدية أيضًا مشروع التفحيل الذي فرضته السلطة الذكورية الخاضعة لمواضعات المجتمع وتقاليده.

ثانيا : الرجل / الوطن

نتحول إلى صورة أخرى من صور الرجل في المخيلة الشعرية لدى الأنثى السعودية، " وربما كان من الطبيعي أن نتوقع في هذا الشعر أن تنبثق الرؤيا المقابلة في شعر الرجال من تحول المرأة إلى رمز للوطن والأرض؛ فيصبح الرجل هو الوطن، خاصة وهو يقدم للمرأة صدره الحاني الذي يحتويها ويحميها "([xxxi]).

ولعلنا نرى بوح الصوت الشعري بحثًا عن الوجود، وتحقيقًا للذات، وطلبًا للحرية في البوح دون مواربة أو قناع، وإن هذا البحث والتحقق أصبح مقترنًا بالرجل، وكان لسان حال الخطاب يكشف ضرورة حرية التعبير لكليهما، وأن كينونة المتلازمين كينونة حياتية لا ينفصل فيها الذكر عن الأنثى.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
425-398 العدد السادس: ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتجد هذا البحث عن تيقظ الآخر لدى الأنثى؛ عن طلب بوحه، وإظهار صوته يشكل هاجسًا إبداعيًّا ومطلبًا وجوديًّا؛ يفتح صفحة من طاقات الحياة ([xxxii]).

لكن تيقظ الآخر لدى الأنثى في خطاب ثريا العُرَيّض صار معادلاً للوطن ورمزًا له في قصيدة " حروف بأغنية خائفة "؛ من ديوان " عبور القفار فرادى "؛ تقول:

وجهُكَ يسكُنُنِي في الصميمْ
ولا أعرفُهُ
وطنٌ ضائعٌ ..أنتَ
جرحٌ ‘عميقٌ قديمْ..
وها نحنُ وجهًا لوجهٍ
حروفٌ بأغنيةٍ خائفةْ
هلْ نموتُ إذا صمتَ اللحنْ ([xxxiii])

وهنا تتشظى الذات الشاعرة ، فضياع الوطن ضياع للحبيب؛ فالوطن العربي وطن متشظٍ، وهذا ما يشير إليه البوح الشعري؛ فالجرح عميق، وحروف الأغنية خائفة، واللحن صامت، ومن هنا تبحث الأنا عن الالتئام والتوحد في الحبيب / الوطن الأمل والحلم؛ حيث تقول :

أغنيةٌ تتدفقُ تملؤُنِي بالحنينْ
هلْ نتداخلْ
– أنتَ .. أنَا ..؟
نتكاملْ ..؟ ([xxxiv])

ويتحول الوطن إلى سيد في قصيدة " قال الشعر " من ديوان " عطش " لمنى الغامدي، ونرى الشاعرة في نصها تضفي على السيد/ الوطن هالة من القدسية، وتلف النص بتعويذة سحرية تتكافئ مع حبها لسيدها / الوطن؛ تقول:

سيّدي لا عليكَ
و لا تكترثْ للذينَ مضوَا
يرحلونَ لآمالِهِمْ ثمَّ لمْ يقفُوا بجنابِكْ
قامةً الأرضِ مسدلةٌ
عندَ بابِكْ

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
425-398 العدد السادس: ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والشعرُ يرفُلُ بينَ قصورِ سحابِكْ
والناسُ تهتفُ باسمِكَ
قُدِّسْتَ يا سيِّدي ([xxxv])

والذات في بوحها الشعري تعاني التشظي، وتلهث خلف حبيبها / الوطن علها تنصهر في بوتقته، وتتماهى في حبيبها، وإن كان الوطن العربي يعاني التشظي و التمزق؛ فما عسى المحبوبة أن تفعل، وهي تبحث عن الوطن المستحيل، أو الحبيب المثال؛ تبحر في أعماق الحبيب / الوطن؛ لكن سفينة المحبوبة غارقة؛ فمازالت تعاني التوتر والقلق؛ فالذات موزعة بين التشظي والالتئام.

وهذا ما عبرت عنه سارة الصافي في قصيدة " بوح " من ديوان " صلصال وماء "؛ تقول:

أهربُ أهربُ
أبحثُ عنْ عنوانٍ
كلُّ البلادِ أنتَ
ولكنَّي أصبحْتُ لا أحملُ
هويَّتي
ذابتْ بينَ يدْيكَ أوْ كأنَّها انصهرتْ
والآنَ أنتَ كالمحالِ أركَ بعيدًا
سفنُ الموانئِ أبحرتْ
في عمقِ بحركَ أنتَ
ما زالتْ غريقةْ ([xxxvi])

وفي نوع من المباشرة لا تجهد التلقي في البحث عن رمز الوطن في النسق الشعري؛ نعاين الحبيب / الوطن كلَّ الدول والأعلام والحضارات والثقافات في قصيدة " أنوثة العالم "؛ في ديوان" حدائق لوركا " لوفاء خنكار؛ حيث تقول:

أنتَ كلُّ الدولِ..
وكلُّ الأعلامِ والراياتْ
وكلُّ الحضاراتِ .. وكلُّ الثقافاتْ ([xxxvii])

أما ميادة زعزوع التي عنونت ديوانها " وأتوه في رجل شرقي "؛ فالرجل الشرقي يرمز للوطن، ومن ثم نرى الرجل معادلاً للوطن، ومتماهيًا فيه في " مذكرات قصيرة"؛ فتنادي رجلها الشرقي / الوطن:

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يا رجلاً على شاكلةِ وطنْ أيهُمُّ بعدَ اليومِ أنْ نبقَى معا ([xxxviii])

ومازالت الشاعرة تلح على هذه الفكرة، وتتماهى في الحبيب / الوطن، وتذوب فيه عشقًا، وتفنى فيه حبًّا، ولما لا؛ فالمحبوب لها برُّ أمان، ودفء، وحب، وطن؛ تقول ميادة في قصيدة " عيدي ووطني والأمان ":

أبحثُ عنْ كلِّ ذلكَ بعيدًا
ولكنْ لا تقتربْ منْ هذَا الإنسانْ
فإنَّه بالنسبةِ لِي
عيدِي ووطنِي والأمانْ ([xxxix])

ما زالت الذات الشاعرة تتماهى في رجلها الشرقي / الوطن؛ فالنسق الشعري يقاوم التشظي، ويبحث عن الالتئام؛ فالرجل / الوطن يسرق عمر الأنا الشاعرة؛ لأنه بالنسبة لها كل الأوطان في قصيدة " رجل يسرق العمر "؛ تقول:

أخبرْني يا منْ تقذفُ بي في مهبِّ النسيانْ
في كلِّ مرَّةٍ
وأنتَ بالنسبةِ لي كلُّ الأوطانْ ([xl])

ومهما يكن من أمر؛ فالوطن صار تعويضًا للذات الشاعرة عن حالة الفقد والحرمان التي فرضتها عليها السلطة الذكورية؛ فصنعت الأنثى حيلاً فنية تتخطى بها الحدود والحواجز، وتتحايل على الرجل / السلطة، وتلوذ بحبيبها / الوطن، علَّها تجد في أحضانه الدفء والحنان، وتلقى في كنفه الملاذ والأمان.

ثالثا : الرجل / الفارس والمضحي

تتلبس وفاء خنكار حالة الوطن في ديوانيها " هندسة الحب "، و " حدائق لوركا "، وتتماهى في الوطن، وتصير هي الوطن العربي الكبير المحاصر والممزق، ومن ثم تستدعي الفارس إلى عالمها الشعري؛ لينقذ المحبوبة / الوطن، ويخلصها من الحصار، ويحطم عنها القيود والأغلال التي ترصف فيها.

فتبدأ ديوانها "هندسة الحب " بقصيدة بعنوان " سيناتور "، وتفسر لنا أن سيناتور: اسم خيل جامح، ويصبح الجواد في عالم النص منقذًا ومخلصًا؛ تقول :

سيناتور
هلْ أنتْ خيالي الجامحْ
أمْ أنتَ جناحي الجارحْ
أمْ أنتْ فارسي الفاتحْ؟ ([xli])

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إن الإلحاح على بنية الاستفهام، وتكراره يشير إلى وقوع الذات الشاعرة / الوطن في حالة من القلق والحيرة، ومن خلال الإلحاح على البنى الاستفهامية تحاول أن تخرج من ضباب الشك والحيرة إلى نور اليقين.

ومازالت الحيرة تلح على الأنا الشاعرة، فلا تني تلجأ إلى بنية الاستفهام في نسقها الشعري:

سيناتور

هلْ تقبلُ أنْ تعيشَ معي..

في عالمِي المبهمِ غيرِ المفهومْ؟

يا جوادِي الأصيلْ ([xlii])

ولعل بنيتيْ الاستفهام والنداء أسهمتا في إثارة حالة من القلق والحيرة والتوتر لدي الأنا / الوطن التي تسعى ما وسعها السعي إلى الوصول إلى الحقيقة ونور اليقين، ولذا تنهي الشاعرة قصيدتها بقولها:

وسنحققُ أكبرَ معركةٍ في

تاريخِ الحبِّ والحربْ ([xliii])

لكن حلم المحبوبة / الوطن تذروه الرياح، ويصير هباء منثورًا؛ فيموت سيناتور/ الفارس دون أن يتحقق الحلم في النص الثاني من الديوان " رحيل سيناتور "، ويعتصر الألم والحزن قلب الحبيبة / الوطن، وتسيطر البنى الاستفهامية على التعبير الشعري؛ لتدل دلالة واضحة على حالة الحزن والألم التي تستبد بالذات، وتعصف بالقلب.

ألمْ نتعاهدْ يا سيناتور

بأنْ نبقى معًا ..نواجهُ حربًا

ندكُّ حصونًا .. ونهدُّ قلاعًا ؟ ([xliv])

ولم يمت الفارس جبنًا ولا ضعفًا، بل مات شجاعًا يدافع عن محبوبته حتى الرمق الأخير:

سيناتور

كيفَ أسلْمتَ روحكَ للأوجاعْ ؟

وكيفَ ترحلُ قبلَ أنْ تقولَ كلمةَ وداعْ ؟

وهلْ الموتُ حقًّا نهايةُ كلِّ شجاعْ ؟ ([xlv])

ولقد ضحى الفارس من أجل حبيبته / الوطن؛ لكن موته ثورة في قلب الحبيبة، ولا بد أن تثأر الحبيبة لفارسها ومعها الجموع.

سأثأرُ لكَ يا سيناتور

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ولنْ أرضَى الوقوفَ بدونِ سلاحْ
وسيعلمُ التاريخُ
أنَّ سيناتور الجامحَ لمْ يمتْ..
وأنَّ خلفَهُ ألفُ.. ألفُ شجاعْ ([xlvi])

ومازالت الحبيبة تبحث عن فارس آخر تلتف حوله الجموع؛ يخلصها من الأسر، ويفك عنها القيد؛ فلجأت إلى فارس أسطوري في القصيدة الثالثة من الديوان المعنونة " فارس طروادة "، حيث تحسه على إنقاذها عبر بنيتيْ الأمر والنداء، على حد قولها:

أسرجْ خيولَكَ منْ أجلِي
وتسلقْ أسوارِي وحصونِي
فأنَا فاتنتُكَ مقيدةٌ
في منفَى الجلنارِ والجورِي
أسرجْ خيولَكَ منْ أجلِي
فأنَا مَنْ كنْتُ لأجلِكَ
أنهارًا وشلالاتٍ منْ نورِ
أسرجْ خيولَكَ منْ أجلِي
يا فارسَ طروادةَ الأسطورِي ([xlvii])

النص هنا متعدد المعاني، متكاثر الدلالة؛ إن النسق الشعري استدعى طروادة وحصارها عشر سنين من قبل الإغريق، وشد إلى عالمه الإلياذة ولأديسا لهوميروس؛ فقد خلدتا المعركة، وطروادة تُعد معادلاً موضوعيًّا للذات الشاعرة / الوطن، ومن أهم أسباب حصار الإغريق طروادة ثراؤها، وهذا بعينه الدافع وراء طمع القوى الغربية في الوطن العربي الذي يمتلك من المقومات والثروات، ما تفقده دول الغرب، ومن هنا كان البوح الشعري لا يني يتوقف عن البحث عن الفارس المنقذ والمخلص.

قمْ أيُّها الفارسُ المناورْ
قمْ فحطِّمْ سورَ طروادة
وأحرقْ ألهةَ أبولو
فقدْ طالَ حصارِي وبُعدِي عنْ

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
425-398 العدد السادس: ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

مملكةِ عينيكْ ([xlviii])

ويبقى حلم الخلاص يراود الأنثى / الوطن؛ فراحت تبحث عن فارس آخر عربي لينقذها، فعندما ينتفض سوف تمنحه كل شيء، وفارسها هذه المرة البطل صلاح الدين في قصيدة " زمن البعث "؛ حين تقول :

ارجعْ يا صلاحَ الدينِ ارجعْ
سأقصُّ لكَ ضفائرِي لجامًا لفرسِكَ الجامحْ
وسأسكبُ لكَ دمِي عطرًا يطمّخُ رداءَ القائدِ الفاتحْ
وسأهبُكَ نورَ عينِي سراجًا في سوارِ الليالي الكوالحْ
سرْ أيُّها الفارسُ الجليلْ
سأنتظرُكَ في خيمتِكَ
بعدِ معركةِ النصرِ الأخيرْ ([xlix])

والأنثى / الوطن في بحثها عن معركة النصر الأخير تتماهى في حبيبها الفارس الناجي من حضارتنا المهزومة؛ فمازال يحمل نخوة العروبة، وهمة الفارس القديم، فيراوده حلم العودة إلى حضارتنا فاتحة الغناء؛ ليحطم واقعنا المهزوم خاتمة البكاء؛ فنجد الصوت الشعري يبحث عن الحلم أو الأمة المستحيلة والوطن المثال في قصيدة " أقرئيني حبيبتي " من ديوان " حدائق لوركا " ، تقول وفاء خنكار:

اقرئِيني حبيبِتي ثمَّ انقذيني ..
قولِي لهمْ أنَّ قصرَ الحمراءِ قدْ انتفضْ..
وأنَّ أسودَهُ الإثنَى عشرَ انطلقتْ..
وأنَّ نوافيرَهُ قدْ فاضتْ..
وأنَّ حلمَ العودةِ يكتسحُ أراضِي الفرنجةْ..
ويصفعُ قلبَ ريتشارد وإيزابيلا ..
وأنَّ الأراضِي العربيةِ تصهلْ..
وأنَّ الأسوارَ تهتزُّ وتذهلْ
وأنَّ عصرَ الحضارةِ المخمليةِ قادمْ.. ([l])

وتُضحي انتفاضة قصر الحمراء رمزًا لعودة السيادة والحضارة إلى أمتنا التي رزحت تحت نير الاحتلال العسكري حقبة طويلة من الزمن، ورزحت تحت نير الاحتلال الثقافي فترة أطول، وأن معركة الحرب الأخيرة لن تعيد حضارتنا

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إلا بانهيار أمريكا سيدة العالم المغرورة، وساعتها يعود للأمة مجدها، وتبني حضارة السلام، لا حضارة الحرب والدمار، يقول النص:

أقرئيني حبيبتي ..ثمَّ أقرئيني
ثمَّ أعيدِي كتابةَ تاريخِ الحضاراتِ منْ جديدْ
فعندما عرفتُكَ سقطَ عصرُ الاستعمارْ..
انهارَ المطرقُ والسندانُ والنارْ..
انهارتّ البنوكُ والأسهمْ..
وأفلستْ سيَّدةُ العالمِ المغرورةْ
وجاءَ عصرُ الزيتونِ الأخضرْ
وجاءَ عصرُ الدواوينِ والشعراءِ..
عصرُ الفرزدقِ والأخطلْ..
وابنِ زيدونَ والمتنبي..
وابنِ الشهيدِ وابنِ الخطيبْ..
بحبَّكِ يا حبيبتِي ..
سأبنِي حضارةً للسلامْ..([ii])

ويظل الوطن يداعب مخيلة الأنثى الشعرية، ويتحول الفارس والمنقذ والمخلص إلى شهيد ومضحٍ من أجل الوطن؛ فحلم الأنثى / الشاعرة بناء وطن؛ تقول منى الغامدي في قصيدة " تعثر في مشيه ":

وأسئلةٌ لا تني تتفتحُ
في كلِّ صبحٍ..
وتسقطُ أوراقُها في المساءْ
واهنًا .. فأبتنِي وطنا([iii])

وهذا البطل الذي يحاول بناء وطن مثال خالٍ من التشظي والتمزق، تحُول قوى الشر بينه وبين حلمه، لكنه لا يهادن ولا يداجن تلك القوى التي تسعى لتهميش الأوطان، لكنه يضحّي، حتى تشعل دماؤه لهيب الانتفاضة، وتصير كبرياؤه وقودًا يمدُّ الأجيال من بعده؛ لتتحرك لبناء الوطن الحلم / المثال ، تقول منى الغامدي:

ذلكَ المنطفِي في لهيبِ الخيالْ

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

قصفُوا ساقَهُ وهناكَ احتمالْ
لأنْ يقصفُوا ما تناهَى
إلى سمعِهِمْ
منْ صدَى كبرياه
دفنُوا جوعَهُ بموائدِ أوجاعِهْ
حفروا .. منْ أصابِعِهْ
أوسمهْ
همْ انتزعُوا حُلمَهْ
وأراقُوا دمَهْ
وأضرمُوا مأتَمَهْ
ولَمَهْ .. كلُّ ذلكَ..؟
ولَمَهْ ؟ ([iiii])

وهذه الخاتمة، واتكاؤها على بنية الاستفهام تجعل النص منفتحًا، وتستدعي المتلقي إلى عالمه للبحث عن المسكوت عنه، وأنَّى لقوى الشر تترك البطل يبني وطن الأحلام، وأنَّى لها أن تمنحه فرصة ليعيد حضارتنا المفقودة؛ لكن يكفي البطل شرف التضحية ؛ فاستشهاده وسام يعبِّد الطريق؛ فيصير طريقًا لاحبة لمن يحمل راية الكفاح من بعده.

وتبقى قضية فلسطين قضية العرب الكبرى، ولم تغب عن الإبداع الشعري في كل أنحاء الوطن العربي، وتظل صورة شهداء فلسطين تناوش ذهن الشاعر العربي، وهذه الصورة كان لها نصيب من نص الأنثى الشعري في المملكة؛ فنعاين صورة شهيد القدس في نص "صولة الحجر " لسارة الصافي؛ تقول:

يا قدسُ
يا منارةَ الأنامْ
سينبتُ منْ جديدٍ حولَكِ السلامْ
وستبقونَ خائفينْ
ستبقونَ خائفينْ
منْ صولةِ الحجر
منْ امرأةٍ

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وشيخٍ وشابٍ
منْ طفلٍ يحملُ
الحجرْ ([liv])

سر نجاح التعبيرية الشعرية في هذا المبحث والمبحث السابق لدى الأنثى في خطابها الشعري، يكمن في توظيف التقنيات اللغوية والأسلوبية، في خلق نوع من الحميمية بين الرجل / الوطن، والمرأة / الشاعرة، أو خلق علاقة حميمة بين الفارس والشهيد، والأنا الشاعرة؛ مما له أثر كبير في منح النسق الشعري كفاءة نصية تنأى به عن المباشرة والتقريرية؛ كما استدعى النص المتلقي ليبحث عن المسكوت عنه، ويسد فجوات النص، وهذه تقنية تمنح النص تماسكًا وترابطًا.

رابعا : الرجل / كسر النسق

عاينا في النماذج السابقة الحيل الفنية في خطاب الأنثى الشعري، والتمرد على الرجل/ السلطة، وكيف مرق سهم الأنثى من شرَك التسلط الذكوري؛ تارة في التماهي في الرجل/ الحبيب، وتارة أخرى في الفناء في الرجل/ الوطن، وفي أحايين أخرى يستدعي النص الشعري الفارس إلى عالمه؛ فيكون هذا الفارس تعويضًا عن الرجل المثال في واقع الأنثى المأزوم.

وفي هذه المرة نرى خطاب الأنثى أكثر جرأة على كسر النسق، والتمرد على مشروع التفحيل وتعلن الأنا ثورتها على الرجل/ الفحل بما يمتلك من سلطة ذكورية منحها له العقل الجمعي، والعرف المجتمعي.

فنجد منى الغامدي تتقنع بقناع شهرزاد في قصيدة " لم يمسسه بشر "؛ قائلة:

هكذَا قيلَ
ولكنْ في قديمِ الزمنْ
المغبَّرِ بالتاريخِ
صوتُ امرأةٍ
عاثَ فى أقصى تخومِ
الشهريار
وأتى بالطلِّ والكافورْ
والمسكِ المندَّى بالجنونْ
صوتُهَا أشبهُ بالفجرِ

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إذَا ما..
شقَّهُ رمحٌ فتيٌّ كاملُ القوة
أشهى ما يكونْ..([lv])

اتكأت الشاعرة على تقنية القناع الذي يمثل تشكيلاً لغويًّا يتوالد من المزج بين شخصيتين: إحداهما شخصية الشاعرة، والأخرى شخصية القناع، وتنجب هذه العلاقة كائنًا جديدًا يكتسب صفات الشخصيتين معا؛ لكنه لا يتطابق مع أي منهما؛ هذا الكائن الجديد كائن متلبس؛ يتكلم بأكثر من صوت، ويمتلك القدرة على اختراق الأزمنة؛ مما يتيح له حرية الحركة، ويمنحه لغة توهم بأن ما يقوله حيادي، ويمكن تحققه([lvi]).

ومن خلال تقنية القناع ولَّدت الشاعرة أنثى جديدة في النص، فالأنثى في النص تمثل مجموع النساء اللائي عانين مشروع التفحيل، ولذا اعتمد النص رمزًا تراثيًّا من الإيحاءات والمعطيات التي تؤثر في النفوس، وتستجيب لها المشاعر، وذلك لأن التراث متمكن من وجدان المتلقي يحمل هالة من التقدير والإجلال، ومعطياته تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي([lvii]).

والشاعرة استترت وراء القناع الأسطوري، فكانت شهرزاد معادلاً موضوعيًّا للشاعرة وقريناتها، ومثّل شهريار التسلط الذكوري الذي تعاني منه الأنثى، ومهما يكن من أمر فإن تفوق شهرزاد على شهريار، ونجاتها وبنات جنسها من القتل؛ يُعد كسرًا للنسق، وتمردًا على مشروع التفحيل، وذلك ما دفع الشاعرة إلى أسطرة الواقع، فالأسطورة ليست غاية يسعى إليها الشاعر، إنما هي تقنية فنية تتيح للشاعر تأكيد موقف يهدف إليه، ويسعى لتحقيقه.

ويتلبس الأنثى الخوف من وجود الرجل / المؤسسة أو السلطة؛ فتطرح خديجة السيد رؤيتها في قصيدة " خوف "؛ تقول في نصها:

يعبرُ الحرفُ شرايينَ قلبي
تزمجرُ أجراسُ الاستحالةِ في ظلِّ عنفوانِ
الخطَى.. أنثرُ عبيرَ باقةِ أنثَى مستحيلةْ ..
كبريائِي حممُ لظَى ... تحرقُ شموخَ آدمْ
كلمَا حاولَ الاغترابُ .. تفاصيلَ عنفوانِي
رسائلُ شوقِ قلمِي الباذخِ
تنتظرُ تفاصيلَ آدم بقيَّةَ حواءْ..
الموتُ في كهفِ الرجاءِ عناءٌ

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

سأمتطِي خوفِي معَ ترانيمِ المساءْ
لأنني أنثَى تجاوزتْ بحروفِهَا كلَّ النساءْ ([lviii])

الأنثى في البنية النصية متترسة بالحرف، والحرف رمز الثقافة التي كافحت المرأة في الوطن العربي لتحصيلها، ومن ثم تحولت المرأة أنثى مستحيلة تقاوم شموخ آدم / المؤسسة؛ فكلما حاول الاغتراب إقصاء حواء عن عالم آدم / النموذج، أو تهميشها؛ فتصب عليه براكين غضبها، وتقتل الخوف في قلبها، وتتجاوز بحرفها وثقافتها كل النساء، اللائي لم يُجِدن فن المقاومة، وكسر النسق، والتمرد على الرجل / الفحل.

ونعاين أيضًا عنفوان الأنثى، وإجادة فن المقاومة لدى أمل درويش في قصيدة " تجارب " من ديوان " سلام من قلب الماء "؛ تقول في مفتتح القصيدة:

سأثبتُ يدِي المرتجفةْ
وأشدُّ أوتارَ صوتِي
وأطلقُ قوسَ الحقِّ منْ حلقِي
سهامَ اللاءْ
تصيبُ مقاتلَهمْ
أهمِّشُ حسادِي، أحلهم
أصونُ حقِّي الأنثوِي
أحتفظُ بحقِّ اللاءِ في حلقِي
أقتلعُ أضرارِي
ها أنا آتيهُ ..
رغمَ أنوفهِمْ
سأقولَ
لا.. ([lix])

تظهر بؤرة النص هنا في رمز الرفض (لا)؛ الذي شكله النص في عالمه؛ فأضحى سهامًا، قوسًا، حقًّا، الكلمة الأخيرة.

كانت مواجهة النسق الذي يضيّق منافذ الفعل، والاختيار على الأنثى في التركيز على هذا الصوت (لا)؛ لكونه من ممتلكات الأنثى، والأقرب إليها؛ فعلى الرغم من فراغه من الفعل، استدعته الشاعرة، ولجأت إليه، وأخذت تقّويه،

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتتقوَّى به، ولذلك غادر الصوتية ليكون الفعل الذي ينهض في مواجهة النسق؛ ولهذا جاء من عالم هذا الصوت الفعل المقاوم؛ فيه الثبات مقابل ما يحيق بالأنثى من إرجاف، واستجماع القوة مقابل الضعف، والحصول على قوة السهام والقوس؛ الخروج من التهميش إلى تهميش المناوئين، وتحويل المحنة إلى منحة؛ الشموخ حين مواجهة الموت.

يركز النص على الفعل المضارع المسند إلى تاء المتكلمة : سأثبت، أشد، أطلق، أهمش، أصون، أحتفظ ...، في إصرار على تأكيد الفعل الذي يتقوى، ويستجمع قواه على قول (لا)، ولم تكن (لا) هذه لتخرج من المباشرة والتقريرية، وعدم الجدوى لولا هذا التنوع الفعلي الذي التأم عليها، ولولا هذا الوجود الذي اكتسبته من القناعة بالحق الذي تعلنه، ولولا التشبث بها، الذي جعلها وجودًا مقابل الموت فكانت (لا) الحياة بعد الموت([lx]).

وتعلن أشجان هندي ثورتها على التسلط الذكوري في قصيدتها " خروجًا عن النص " ، على حد قولها :

همْ فئةٌ لسْتُ أختارُهَا
حينَ أنوِي الخروجَ عنِ النصّ
لكنَّها فئةٌ غالبةْ ([lxi])

تعلن الذات سأمها، والخروج عن النص بصحبة أولئك الذين أدمنوا عشق المظهر ... إن الذات الاضطرارية للنماذج المذكورة، وكأنها بدأت – في لمحة رومانسية وإرهاص بالانتقال من زمان إلى زمان – تبحث عن طريق خاص بها في زمان تتخيله؛ عندما تستأنف سخريتها، وتمزج بين والخاص والعام في صورة من صور تضافر الرومانسي والواقعي([lxii]).

في قولها :

ولا غالبَ في زمانِ الخروجِ عنِ النصّ
غير الذِي يُطربُ الفئةَ الغالبةْ
ربمَا
للتملقِ
أوْ لرجمِ الغناءِ الأصيلْ ([lxiii])

لقد اختلط الهم الأنثوي الخاص بالهم العام، إنها تعلن تهميش الفئة الغالبة، التي تســـعى إلى تهميش الأنثى، وتصادر حقها، وتفرض عليها الوصاية، ومن ثم راحت الذات الشاعرة، تعلن ثورتها على هذه الفئة، وتبحث في نصها عن الغناء الأصيل، وتخلصه من رجم المرجفين والمتملقين.

خامسا : الرجل / الحلم

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إن أشـجان هندي عانت في مرحلة الخروج الفقد والحرمان؛ فراحت في صـورة تعويضـية تعيش حياتها مع الرجل/ الحلم في مرحلة الدخول؛ تقول الشاعرة:

في مساءٍ كهذَا الذِي
أختارُ فيهِ الدخولَ إلى النصّ
أستديرُ كرمانةٍ في يمينكَ،
كالينابيعِ، هادئةً، عذبةَ،
كصمتِ القصيدةِ إذْ تكتملْ
أكونُ
إنْ خرجْتُ إليكَ لأدخلَ في النصّ
لا أكونُ سوايْ ([lxiv])

يلفتنا السطر الثاني الذي يستدعي مباشرة بداية طقس الدخول، وتكمن قيمة الاستدعاء في المساواة الدلالية بين الرجل والنص؛ فالذات عندما تدخل إلى النص، تدخل عالم الرجل ذي الموصـــفات الخاصـــة المفتقدة المنتظرة ... مواصفات تحقق مفهوم الرجولة، ومتى تحققت عاشت الذات أنوثتها الحقيقية في كنف ذلك النموذج (أستديرُ كرمانةٍ في يمينكَ)، ولا يخفى علينا ما تســتدعيه العلامة (رمانة) من ملامح الأنوثة، وإن تعاملنا بلاغيًّا مع الســطر كما يقول المجاز؛ فقد أشارت إلى الجزء وأراد الكل ... إنها تعني ملامح الأنوثة كلها دون نقص – خارجية وداخلية – بما فيها من رغبة اختيارية في الهدوء والخضوع والرقة في كنف النموذج (كالينابيعِ ، هادئةً ، عذبةَ)، وهي صورة لإعادة تشكيل الأنثى – في زمان تصنعه لنفسها – تستدعي عكسها في المرحلة السابقة؛ حيث كانت مضطربة وخشنة؛ مثل نماذج الرجال الذين أشارت إليهم.

والمرأة أيضًا نص، وهكذا قالت أشجان عن الذات في السطر (كصمتِ القصيدةِ إذْ تكتملْ)، وهكذا النص يبقى لحنًا منقوصًا، يفتقد النغمة الأخيرة حتى يصادف الرجل / النموذج، وساعتها تعيش الذات وجودها الحقيقي الذي أكدت عليه أشــجان في (أكونُ – لا أكونُ ســوايْ)، وهذا الإلحاح في التأكيد يعني التشــوف لحدوث الفعل ([lxv]).

وتستغيث منى الغامدي بالرجل الحلم في قصيدة " نرجسة للعبور "؛ تقول منى:

أغثنِي بشمسٍ تدومُ احتراقًا
وتخرجُ منْ غفوةِ الصبحْ

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
ISSN: 2958-8537 Issue: N6 العدد السادس: ص.ص 398-425
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

قمحيةَ الوجهِ
تنثرُ ملحَ التعاويذِ في الجرحْ
تمحُو الفصولْ
تسرقُ جوعيَ المسافرْ
عبرَ الفصولْ ([lxvi])

الشـاعرة لا تحمل همها الخاص، بل تمزجه بهم الأنثى العام؛ فالجرح علامتان تفضـيان إلى دلالة التوتر والقلق، أو الألم، ومن ثم فالذات الشـاعرة تلهث خلف الرجل/ النموذج لينقذها من الرجل/ المؤسـسـة، ويعوِّذها من سـطوته وسلطته وتسلطه.

وأخذت تلح عبر بنية الأمر وأسلوب التكرار على استدعاء الرجل / النموذج حين تقول:

أغثنِي بشمسٍ
تعانقني في السفوحِ
صهيلاً
وفي الصدرِ حممةً
تجتوينِي وبوحًا ثقيلاً..
وتطفئُ بردِ ي
وحزنِي
وقهرِي ([lxvii])

إن توحد الأنثى في الشـمس أمارة على اكتمال الأنوثة، فلا تكتمل الأنوثة إلا في كنف الرجل/ الحلم، وتفقد المرأة أنوثتها في جوار التسـلط الذكوري، ومن هنا توحدت الذات الشـاعرة في الشـمس، فقد ذكر نيلسـون "أن العرب في الجاهلية قد صوروا صوراً للشمس على هيئة إنسان، وهذا الإنسان يمثل حسناء عارية"([lxviii]).

يستدعي الصهيلُ الفرسَ، والفرس يعد معادلاً موضوعيًّا للأنثى، وبذلك تصل الذات إلى أقصى درجة من الأنوثة، ومن هنا لابد أن يغيثها الرجل/ المثال، وينتشلها من القهر المفروض عليها، ويطفئ بردها وحزنها عبر فعل المفارقة، الذي حول البرد والحزن من خلال نكتة المفارقة نارًا مشتعلة.

ولعل الشـمس/ الأنثى تسـتدعي إلى عالم النص القمر/ الرجل الحلم من خلال ثنائية الغياب والحضـور، ومن ثم نجح النسق الشعري في أسطرة الواقع؛ فالشكل الديني المعروف "بعبادة الكواكب التي تتألف من ثالوث سماوي هو:

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
425-398 العدد السادس: ص.ص ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

القمر والشـمس والزهرة، ويؤلف هذا الثالوث الإلهي عائلة صـغيرة، يلعب فيها القمر غالباً دور الأب، والشـمس دور الأم، والزهرة دور الابن أحياناً، والابنة أحياناً أخرى" ([lxix]).

فالقمر الذي استدعته الشمس المتلبس بفعل الإغاثة يضحي معادلاً موضوعيًّا للرجل / الحلم، والشمس المعادل الموضوعي للأنثى، ولا تختلف منى الغامدي عن أشجان هندي في مزج الخاص وبالعام، فهم الذات الشاعرة هو هم كل أنثى تعاني التسلط الذكوري، وهيمنة الرجل/ المؤسسة.

نتائج البحث

1- استدعت الشاعرة السعودية الرجل الإيجابي، وذابت فيه عشقًا.

2- الحبيب الوطن تعويض للذات الشاعرة عن حالة الفقد والحرمان.

3- توظيف التقنيات اللغوية والأسـلوبية في خلق نوع من الحميمية بين الرجل والذات الشـاعرة، وبينها وبين الرجل المنقذ.

4- كسر الخطاب الشعري النسق، وتمردت الشاعرة على الرجل، ورفضت وصايته ووكالته.

5- استدعت الأنثى الشاعرة الرجل الحلم؛ تعويضًا عن معاناتها من التسلط الذكوري، وهيمنة الرجل المؤسسة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
ISSN: 2958-8537 Issue: N6 العدد السادس: ص.ص 398-425
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المصادر والمراجع

[i] – حسن النعمي: الرواية السعودية واقعها وتحولاتها، 59، ط1 ، وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، 1430– 2009.

[ii] – عبد الله محمد الغذامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، 71 ، ط1 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999 .

[iii]– راجع: السابق، 88

[iv]– نفسه: 88، 119

[v]– حسن النعمي: الرواية السعودية واقعها وتحولاتها،59–60

[vi] – عالي سرحان القرشي: أسئلة القصيدة، 65 ، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – نادي الطائف الأدبي، 2013 .

[vii] – صلاح فضل: الإبداع شراكة حضارية، 193 ، 194 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2008 .

[viii] – عالي سرحان القرشي: أسئلة القصيدة ، 49

[ix] – صلاح فضل: الإبداع شراكة حضارية، 186

[x] – راجع: حسن النعمي: الرواية السعودية واقعها وتحولاتها، 59

[xi] – اعتدال الذكر الله: واستمطرتك عشقًا، 104 ، ط1 ، نادي الطائف الأدبي، 1432– 2011 .

[xii] – أحمد شوقي: الشوقيات، المكتبة التجارية، القاهرة، 1970 .

[xiii] – اعتدال الذكر الله: واستمطرتك عشقًا، 93

[xiv] – إبراهيم ناجي: ديوانه،130 ، دار العودة بيروت، 1982

[xv] – اعتدال الذكر الله: واستمطرتك عشقًا، 98

[xvi] – راجع: السابق: 23، 24 ، 35 ، 37 ، 61 ، 76 ، 93 ، 95

[xvii] – منى الغامدي: عطش، 57، 58 ، ط1 ، النادي الأدبي الثقافي بجدة، 1430 – 2009 .

[xviii] – سارة الصافي: صلصال وماء، ط1 ، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، 1431– 2009 .

[xix] – السابق: 7

[xx] – راجع: نفسه : 73 ، 87 ، 107

[xxi] – خديجة السيد: نبض العناقيد ، 24 ، ط1 ، فراديس للنشر والتوزيع ، المنامة، 2013.

[xxii] – راجع: السابق: 29 ، 32 ، 38 ، 43 ، 53

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

[xxiii] – وفاء خنكار: هندسة الحب، 37 ، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، 1431 – 2010 .

[xxiv] – راجع: السابق: 42 ، 62

[xxv] – ميادة زعزوع: وأتوه في رجل شرقي، 22 ، ط1 ، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، 1406 – 2005 .

[xxvi] – السابق: 52

[xxvii] – البتول محمد الطاهر الدباغ: زخات مطر، 95 ، ط1 ، دار الفكر العربي، الدمام، 1432– 2011 .

[xxviii] – فائزة سعيد: صانع الوردة، 38 ، دار التميز، دمشق، 2007 .

[xxix] – لطيفة قاري: لؤلؤة المساء الصعب، 12 ، 13 ، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1998 .

[xxx] – عالي سرحان القرشي : أسئلة القصيدة ، 71

[xxxi] – صلاح فضل: الإبداع شراكة حضارية، 191

[xxxii] – عالي سرحان القرشي: أسئلة القصيدة، 58 ، 59

[xxxiii] – ثريا العريض: عبور القفار فرادى، 31 ، ط1، نادي الطائف الأدبي،1414 – 1993

[xxxiv] – السابق:32

[xxxv] – منى الغامدي: عطش، 32

[xxxvi] – سارة الصافي: صلصال وماء، 36

[xxxvii] – وفاء خنكار: حدائق لوركا: 34 ، ط1 ، نادي الطائف الأدبي، 1431– 2010 .

[xxxviii] – ميادة زعزوع: وأتوه في رجل شرقي، 15

[xxxix] – السابق: 60

[xl] – نفسه: 88

[xli] – وفاء خنكار: هندسة الحب ، 6

[xlii] – السابق:8

[xliii] – نفسه: 9

[xliv] – نفسه: 11.

[xlv] – نفسه: 12،13.

[xlvi] – نفسه: 13،14

[xlvii] – نفسه: 15

[xlviii] – نفسه: 16

[xlix] – نفسه: 82،38

[l] – وفاء خنكار: حدائق لوركا، 91

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
28/02/2023
العدد السادس: ص.ص 398-425 ISSN: 2958-8537 Issue: N6
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

[li] – السابق: 92

[lii] – منى الغامدي: عطش، 83

[liii] – السابق: 85 ، 86

[liv] – سارة الصافي: صلصال وماء، 61

[lv] – منى الغامدي: عطش، 53 ، 54

[lvi] – راجع: خلدون الشمعة: الشمس والعنقاء " دراسة في المنهج والنظرية والتطبيق، 200 ، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، 1971 .

[lvii] – راجع: علي عشري زايد: عن بناء القصيدة الحديثة، 128 ، ط4 ، مكتبة الآداب، القاهرة، 2002 .

[lviii] – خديجة السيد: نبض العناقيد، 20

[lix] – أمل درويش: سلام من قلب الماء، 54 ، ط1 ، فراديس للنشر والتوزيع، المنامة، 2007 .

[lx] – عالي سرحان القرشي: أسئلة القصيدة، 74

[lxi] – أشجان هندي: خروجًا عن النص،52 ، مجلة وج، ع3 ، نادي الطائف الأدبي، يوليو 2009 .

[lxii] – عاطف السيد بهجات: العلامة وإنتاج الدلالة الشعرية " سيمياء الزمان في خروجًا عن النص " لأشجان هندي، 281 ، ضمن كتاب آفاق التجديد في الأدب السعودي" الرؤية والتشكيل"، ط1 ، كتاب مجلة جامعة الطائف للآداب والتربية، 1433 .

[lxiii] – أشجان هندي: خروجًا عن النص، 52

[lxiv] –السابق: الصفحة نفسها

[lxv] – عاطف السيد بهجات: العلامة وإنتاج الدلالة الشعرية، 285

[lxvi] – منى الغامدي: عطش، 22 ، 23

[lxvii] – السابق: 23 ، 24

[lxviii] – مصطفى عبد الشافي الشورى: الشعر الجاهلي تفسير أسطوري،127 ، ط1 ، دار المعارف، القاهرة، 1986 .

[lxix] – إبراهيم عبد الرحمن: التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، 129 ، مجلة فصول، مج1 ، ج2 ، ع3 ، القاهرة، 1981 .